

## نحن وفرنسا.. ماذا لو تبادلنا المواقع؟



عند هؤلاء مقدسة... فبا لبث المسلمين والهندوس لا يتناحرون من أجل حيوان معبوداً.

تغيب جهود الشيخ عبدالرازق. ويتجاهل السلفيون كتابي الشيخ محمد الغزالي "السيرة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" و"قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة". ويرفضون اجتهادات الشيخ عبدالمتعال الصعدي، ويتجاهلون كتابه "الحرية الدينية في الإسلام" المنتقد لخرافة حد الردة. هذا الحد وغيره بضاعة نجوم فضائيين منهم اليميني علي الجفري، مهتديا بالشيخ محمد الشعاوي القائل إن تارك الصلاة يُسأل "إن كنت منكراً للحكم تقتل حداً... وإن كان كسلاً يستتاب ثلاثة أيام ثم يقتل".

في فرنسا بقايا عنصرية. ولكن حملة "إلا رسول الله" ليست غيرة على الإسلام. تحضر تركيا فيغيب الرسول.

سلفيين إرهابيين على الشيعة، في مؤتمر جماهيري على الهواء مباشرة بحضور الرئيس الإخواني محمد مرسي.

ولم يتورع دواعش ينتمون إلى "ولاية سيناء" عن الزهو بجريمة تفجير رؤوس ضحاياهم، ونشر هذا الرعب في يونيو. وفي عام 2016 تلا أحدهم بيان تنفيذ ما يظنه قصاصاً في المتصوف السيناوي سليمان أبوحران (98 عاماً). وبعد تكبيرات اليقين، حمد "الله الذي أرسل محمداً بالسيف رحمة للعالمين". وصور تنظيم بيت المقدس في سيناء جريمة ذبح الشيخ بالسيف.

لماذا ينزع سفيه من اعتقاد غيره ما يشاء، ولو عبد غصن شجرة أو كرسيا بلاستيكية؟ في عام 1909 سافر مصطفى عبدالرازق، تلميذ الشيخ محمد عبده، إلى فرنسا وهو مطمئن القلب بالإيمان، فشرح الله صدره لمحبة الناس، وأولهم هندوسي قابله على السفينة، وأقر الشيخ "لا آهين البقر ولكنني لا أعبد"، إذ ساء ما قرأ عن معارك نشبت بين المسلمين والهندوس في الهند؛ "من أجل بقرة يريد أولئك أن يمتنونها، وهي

الدين الإسلامي وليس ابناً يكتن به "أبوإسلام".

وفي 1 أكتوبر 2012 قال أبوإسلام في حوار تلفزيوني إنه، حين أحرق الإنجيل، لم يكن في حالة ثورة أو غضب، وإنما توجه إلى السفارة وهو يعرف ماذا سيفعل "كنا مخططين ومدبرين ومهيئين ومستعدين لهذا الحدث" من أول يوم في شهر رمضان 1433 (يوليو 2012)، "وكان ينقصنا المناسبة التي تهني لنا فعل ذلك. قررنا وعزمنا" أن نحرق "كتاب تيري جوتز"، وهو قس أميركي قام بحرق المحصف، وبث ذلك عبر الإنترنت في أبريل 2012، احتجاجاً على اعتقال القس يوسف نادر خاني في إيران.

لنعد جانباً من أثار "فقه" ذبح مسلمين مسلمين، لم يشاركون في حرب مع أي طرف، في أي معركة خاضتها "طائفتان من المؤمنين". أقول "فقه" للتأكيد على بشرية الفكر المؤسس للإرهاب. وما كان بشرياً فهو قابل للنقد والنقض والقتل بحثاً. "فقه" الذبح أدى، في يونيو 2013، إلى قتل أربعة من الشيعة جنوبي القاهرة وسجلهم، وسط هتاف "الله أكبر"، بعد أيام من تحريض

هذه الاقتباسات "أقسم بالله العلي العظيم، والله صدقوني والله لا أكذب، والله لا أكذب، والله لا أكذب، أن أصف عبادات الكنيسة أنها تعبد ذكر الرجل. أقسم بجلال الله.. شوفوا صورة يسوع تلاقوا العضو الذكري.. يعبدوه.. عقيدة مرعبة، مرعبة. من أين جاء التمثيل والزنا والدعارة؟ الشيش؟ الرقاصين والغوازي؟ الأفيون، المسرح، السينما؟ صناعة مسيحية صهيونية". لم يكن هذا المونولوج زلة لسان، فمع طوني خليفة أعاد "الشيخ"، في مارس 2013، التأكيد على وجود "كنائس تعبد الذكر، وتجعله.. تزعره في الأرض وبأحجام كبيرة، وتحضنه".

في يناير 2012 سخر من احتفال المسيحيين بعيد ميلاد المسيح الذي يسميه "الواد رينا". وغنى أبوإسلام "هابي بيرث داي تو ربنا يسوع. يحتفلون بعيد ميلاد الرب يسوع يوم ما تولد من فرج أمه، وبعد ما اتولد من فرج أمه الرب يسوع أكيد قطعوا له الحبل السري، وأكيد أول ما نزل كان بيواو وأء واء واء. وأخذوا يغسلون الفذارة اللي عليه.. كانوا يغسلون الرب يسوع.. الواد رينا مش عارف صدر أمه فين. الواد رينا وصل لحلمة أمه وبدأ يرضع.. لغاية ما الواد شبع، الواد رينا شبع، ثم تقوط فمسحت أمه "عورة ريبها من وراء.. الواد رينا" كان يجبو، "وياكل القباقيب اللي في الأرض"،

وكان "أبوه، زوج أمه نجار عمل له عربة بعجل"، ولما كبر قليلاً وكان يعطش "يقول السح الدح إمبو، إيدي الواد لأبوه.. فلا يصح أن يكون هذا الطفل إلهاً أو ابن إله". هذا رجل يعطي نفسه حق التدخل في عقيدة غيره، وتحديد ما يصح وما لا يصح.

في سبتمبر 2012 توجه مع أنصاره إلى السفارة الأميركية، ورفع الكتاب المقدس، "الكتاب الذي يعتقد به جونز تيري الكلب ومن معه من الكلاب المسيحيين المصريين في أميركا. لا أملك اليوم إلا أن أمزقه، ومزقه وسط تكبيرات أطلقها الفرحون بالفتح المبين، حتى لم يبق منه إلا غلافه الأسود فرماه، وهتف مهدداً ومنذراً "عبدة الصليب في كل أنحاء العالم"، وانصاره يهتفون "قادم قادم يا إسلام"، يقصدون

يمكن أن تبلغه الحرية. وفي يوم الجمعة 16 يناير 2020 قام شاب شيشاني، يطلق على ماكرون "زعيم الكفار"، بذبح المدرس.

فرنسا، وأوروبا عموماً، تمارسان نفاقاً يستبيح سباب الله والسخرية من الرسل، ولكنها لا تتهاون مع باحث، في رسالة علمية أكاديمية لا تستهدف الجمهور العام، يورد أدلة تشكك في الهولوكوست، النفاق الفرنسي الأوروبي يقترب بآرهاب قانوني لمن يتهم بمعاداة السامية. أن تعادي الله فهذا لا يضر الله، أما أن تقترب من تخوم إسرائيل فإن ما يسمى حرية الفكر تختب لها أنياب ومخالب تبدأ بالحصار النفسي وتنتهي بالسجن. ولم يسلم من ذلك روجيه جارودي، حين تناول الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، وشكك في أرقام يطنها الصهاينة عن أعداد ضحايا جريمة غربية في حقهم، ونقض أسطورة الملايين السنة للهولوكوست.

ولم ينس جارودي أن يذكر بأن ضحايا هتلر لم يكونوا من اليهود وحدهم، وأن الاستعماريين الأوروبيين قتلوا نحو 180 مليوناً من السكان الأصليين، في بلاد لم يكن اسمها أميركا، ومن الأفارقة في عصور اصطيادهم للعبودية في الأرض الجديدة.

وباستثناء هذا الإرهاب البحثي والإبداع؛ وقد سخرت شارلي إيبدو من المسيح أيضاً. وفي سيرته "رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر" يكتب عبدالوهاب المسيري عن مظاهر التحرر في الفن، مستشهداً بلوحة رسمها الفنان الأميركي أندريه سيرانو عام 1987، عنوانها "فلنتبول على المسيح" (Piss Christ)، بوضع صورة المسيح على الصليب في البول، ولم تؤثر اللوحة في اهتزاز ثقة مسيحيي بعقيدته، أو لدعوات تنطلق من الكنائس بعد صلاة الأحد لذبح الرسام. وفي القرآن الكريم آية على الإعراض عن "الذين يخوضون في آياتنا"، إعراض لا ذبح.

ولنعد ترتيب الوقائع هنا: لا تزال تصريحات "الشيخ" أبوإسلام متاحة لمن يريد الرجوع إليها، ولعل من احتمال السماجة يصير على



مع استقواء اليمين الديني عقب ثورة 25 يناير 2011، ظهر رجل ثقيل الظل، اسمه أحمد عبدالله، وكنيته "أبوإسلام"، قال إنه مدير شيء ما اسمه مركز التنوير الإسلامي. كانت صحته وحماسته وضلالته تساعد على تقديم "وإن مان شو"، في قناة "الامة" الفضائية التي يملكها، ليس للدعوة إلى الفضائل الإنسانية والتعريف بسماحة الإسلام، وإنما لسباب المسيحيين والاستهزاء بعقيدتهم. فماداً لو انتفض مسيحي فرنسي في القاهرة، مدفوعاً بالغيرة على نبيه وكتابه المقدس، وقتل المصري المسلم الذي ياكل من فوائض الإهانة الفضائية؛

لنفتقر أيضاً أنه بعد مرور سنوات على الذبح الأول، الافتراضي، للشيخ "المسيء" أن قام مدرس مسلم مصري بعرض تلك التصريحات المصورة "المسيئة" على طلابه، فهل يستحق الذبح؟ وبعد ذبح ناقل "الإساءة" هل نتوقع صمت العالم الإسلامي، ومصر تحديداً، على جريمة ذبح مواطن مسلم في بلده؟ وإذا أشار خطاب رسمي مصري بإصابع الاتهام إلى أفكار راديكالية مسيحية تغذي الإرهاب وتؤسس للجريمة، ولجرائم سابقة، فهل يكون في ذلك مساس بجوهر الدين المسيحي وسماحته؟ وماذا لو تجاهلت فرنسا جريمة في حق مواطن مصري، وجيشت الحملات لمقاطعة مصر، ورفعت شعاراً "إلا يسوع المسيح"؟

لنعد ترتيب الوقائع هنا: في 7 يناير 2015 اقتحم إرهابيون مقر مجلة شارلي إيبدو التي نشرت رسوماً كاريكاتيرية للنبي محمد، وسقط 12 قتيلاً في الهجوم الذي تنهتاه تنظيم القاعدة. وبعد أكثر من خمس سنوات على الجريمة، عرض المدرس الفرنسي صامويل باتي على طلابه تلك الرسوم، في حصة للتربية الوطنية عن حرية التعبير، بمدرسة في باريس. وقد تحسباً لحساسية الأمر فاقترح على من ستغضبه رؤية الرسوم أن يخرج من الفصل لو أراد؛ فالدرس عن المدى الذي

## القيادة الفلسطينية وقصة المؤتمر الدولي

### العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
حذام خريف  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة العيقوبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي كان مؤتمر مدريد (1991)، وقد عقد لأن الولايات المتحدة دعت إليه، ووقفت وراءه. والشاهد أن اعتراف 132 دولة بفلسطين، كدولة، أو كدولة بمرتبة عضو مراقب، لم يقدم شيئاً عملياً، بحكم الرفض الأميركي، الداعم للموقف الإسرائيلي، وهكذا.

عموماً، وعلى الرغم من الملاحظات السابقة، ورغم التأخر كثيراً عن تلك الخطوة، فإن القيادة الفلسطينية معنية بالمضي بهذا المسعى، ومعنية بالتحديد له، بيد أن ذلك يفترض أن يجري، أولاً، من دون أوهاج؛ أي باعتبار الأمر يتعلق بتحقيق مكتسبات سياسية ومعنوية، وبمسمع لعزل إسرائيل، وكشفها على حقيقتها، كدولة استعمارية واستيطانية وعنصرية في المنطقة، ومن أجل تعزيز الصديقية الأخلاقية للقضية الفلسطينية كقضية عادلة، وكسب المزيد من التعاطف مع حقوق الشعب الفلسطيني.

وثانياً، عبر حسم مسألة إعادة بناء البيت الفلسطيني الجامع، أي منظمة التحرير، على أسس كفاحية وتمثيلية ومؤسسية وديمقراطية، وبناء على رؤية تعيد المطابقة بين الشعب والأرض والقضية والحركة الوطنية، لأنه من دون ذلك ستتم إعادة إنتاج القديم، الذي بات مستهلكاً، ومفوتاً، ولنا في فشل الدعوة إلى مظاهرات شعبية في 15 سبتمبر الماضي دليلاً على أن محاولات تعويم الوضع القائم، أو الذهاب نحو الشراكة في النظام الفلسطيني بين فتح وحماس، أو تشكيل هيئات بصورة فوقية، كما حصل مع ما يسمى "القيادة الموحدة للمقاومة الشعبية"، لا تفيد شيئاً.

نعم المطلوب اليوم من القيادات الفلسطينية، أكثر من أي وقت مضى الحسم في مراجعة نقدية للتجربة الماضية، وإعادة بناء البيت الفلسطيني، واستعادة الحركة الوطنية لطابعها كحركة تحرر وطني، لشعب واحد، وقضية واحدة، وسردية وطنية واحدة، وإن مع خصوصيات متعددة.

الصل الحثائي، قبل تنفيذها استحقاقات المرحلة الانتقالية، ناهيك عن إقائه اللائحة على الفلسطينيين، لعدم تجاوب قيادتهم مع الإملاءات الإسرائيلية.

وهو ما حصل في عهد الرئيس بوش الابن، الذي أمضى هو الآخر ولايتين، وطرح خطة خارطة الطريق، التي نفذها الفلسطينيون بحذافيرها، لكن إسرائيل ضربت بها عرض الحائط، وفي عهد بوش الابن، أيضاً، تم ضرب عرض الحائط بالمبادرة العربية للسلام (التي طرحت في قمة بيروت 2002).

أيضا فإن النتائج في عهد الرئيس السابق باراك أوباما لم يكن أفضل، فلسطينياً، وصولاً إلى الرئيس الحالي دونالد ترامب، الذي أنهى سياسة التلاعب والمخاتلة وكشف عن حقيقة المواقف الأميركية المحازرة أصلاً لإسرائيل.

المسألة الثانية، إن هذا الطرح، أي عقد مؤتمر دولي، ليس عملياً، لأن المؤتمر الدولي الوحيد الذي عقد بخصوص

خامساً، إن قيادة المنظمة ذاتها خرجت من إطار مؤتمر "مدريد" للسلام، ليس إلى أفضل منه بل إلى وضع أكثر صعوبة، وأكثر إجحافاً بحقوق الفلسطينيين، وهو ما حصل في مفاوضات سرية، أفضت إلى اتفاق أوسلو المذكور.

إضافة إلى الملاحظات السابقة ثمة مسألتان على غاية من الأهمية، أيضاً، في مناقشة خطوة القيادة الفلسطينية، أولهما، تتعلق بتلك المرهنة على دور أميركي محايد في الصراع مع إسرائيل، واعتبار الولايات المتحدة طرفاً منزهة، وضموها، وهو لم يثبت ولو مرة، منذ توقيع اتفاق أوسلو في البيت الأبيض، برعاية الرئيس الأميركي بيل كلينتون، الذي أمضى ولايتين في عهده، من دون أن يبذل ولو حداً أدنى من الضغط لدفع إسرائيل إلى الوفاء بالاستحقاقات المطلوبة منها، بل إنه على العكس من ذلك أيد موقفها بالانتقال إلى مفاوضات

فيه، كان تخفيض سقف الحقوق الفلسطينية، المنصوص عليها دولياً، أو ترك الفلسطينيين من غير ظهير دولي، أو مرجعية قانونية دولية.

وفي المحصلة فقد وقع الفلسطينيون اتفاق أوسلو (1993) من دون أن يرتبط ذلك بالشرعية أو بمرجعية القرارات الدولية، التي كان يفترض أنها تعوضهم، كالتطرف الأضعف، عن ضعفهم إزاء تجبر إسرائيل وغطرستها، وإزاء الاحتضان الأميركي لها.

رابعاً، إن القيادة الفلسطينية ظلت على ذلك الاتفاق أكثر من ربع قرن، بما يعني أنها تأخرت كثيراً قبل نفض يدها من الزهان على "كرم الأخلاق" الإسرائيلي، رغم أن ذلك الأمر اكتشف في فترة مبكرة، بعد تملص إسرائيل من استحقاقات المرحلة الانتقالية المنصوص عليها في اتفاق أوسلو (1999) كما اكتشف ثانياً في مفاوضات كامب ديفيد (2000).

### القيادة الفلسطينية وقصة المؤتمر الدولي

ماجد كيالي  
كاتب وسياسي فلسطيني

انت مطالبة الرئيس الفلسطيني محمود عباس بعقد مؤتمر دولي حول فلسطين متأخرة جداً، على الرغم من أهميتها، ورغم المساندة العربية والدولية لها، وهي مساندة لها طابع معنوي وسياسي فقط. ثمة هنا العديد من الملاحظات، أهمها:

أولاً، كان يفترض بالقيادة الفلسطينية ألا تنعقد في عملية تفاوضية مع إسرائيل من البداية، أي في ظروف موازين قوى، ومعطيات عربية ودولية، ليست في مصلحتها البتة، كما جرى في اتفاق أوسلو الناقص والجحف والمهين قبل 27 عاماً، لأنه كان اتفاق وإملاء.

ثانياً، في سياسات التفاوض، بين طرفين متصارعين، وبحسب التجربة العملية والتاريخية، إما أن تحصل بين طرفين نزيهين، يدرك كلاهما أن الخسائر ستكون أكثر من المنافع عليهما في حال استمرارهما بالتصارع، وإما بين طرفين يدرك الطرف الأقوى من بينهما أنه ثمة ثمن سيدفعه مستقبلاً إن لم يتوصل إلى حل عادل أو مناسب، وأيضا في حال توصل مجتمع الطرف الأقوى إلى قناعة بعدم جدوى استمرار الصراع لسبب أو لآخر داخلي، وهي كلها حالات لا تنطبق على إسرائيل، هذا حصل بانسحاب الدول الاستعمارية من العديد من الدول العربية، وحصل بتحول نظام الأبارتيد في جنوب أفريقيا، بسبب تغير الوضع الدولي وتغير أحوال مجتمعاتها.

ثالثاً، إن القيادة الفلسطينية لديها مخزون من القرارات الدولية (مجلس الأمن والجمعية العامة) التي يفترض الاستناد إليها، لكونها تغطي مختلف جوانب الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، ذلك أن الغرض من المفاوضات، على النحو الذي جرت

